رحلة الأخطار

محمود سالم

رحلة الأخطار

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

رحلة الأخطار

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٧ ٢٩٩٩ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ٢٠٠٢.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
انفجارات وإشعاع قاتل!	١١
عثمان في خطر!	١٥
غرفة الاجتماعات!	١٩
رحلة الأخطار!	٢٣
اختطاف	٢٧
عودة عثمان	٣١
مفاجآت مثيرة!	٣٩

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

انفجارات وإشعاع قاتل!

انفجاراتٌ مروعة تصمُّ أصواتُها الآذان ... شظايا كثيرة تتناثر هنا وهناك ... ألسنة اللهب تتصاعد فتُضيء المكان ... هرجٌ ومرجٌ ... سيارات تُغادر الموقع وأخرى تحضر إليه ... سارينة سيارات الشرطة تزعق في أكثر من مكان لتختلط بصوت أبواق سيارات المطافئ الوافدة للموقع ... وسيارات الإسعاف المغادرة له.

وعن بُعد ... وقف بعضُ أعضاء جماعة الشياطين يُتابعون ما يحدث وينتظرون ظهور «عثمان»، الذي رفض أن يقف متفرجًا، واندفع يشارك في إنقاذ ما يُمكن إنقاذه.

فالحادث خطيرٌ ... والنار قد اضطرمَت في مستودع يحوي موادَّ سريعةَ الاشتعال ... وهو واحدٌ من عدة مستودعات تخصُّ إحدى شركات البتروكيماويات.

ورغم أن المسافة بين تلك المستودعات كبيرة نسبيًّا ... إلا أنَّ الخطرَ قائمٌ في أن تمتدَّ النيرانُ إليها ... وعندها سيكون من الصعب السيطرة عليها.

وقد تؤدي شدةُ الحرارة إلى انفجارها ... مما يعني انفجارَ المنطقةِ كلِّها ... وتعرُّض المدينة السكنية المجاورة للشركة للدمار ... بما فيها من سكان.

وقد لاحظ الشياطين أن عنابر العاملين في الموقع ... قد أحاطَتها النيران من كلِّ جانبٍ ... فاندفعوا هم أيضًا يساعدون في إخراج مَن تعرَّض منهم للاختناق ... ومَن أصابه الإغماء ... غير أن ساعاتِهم انطلقَت منها إشاراتُ تنبيهٍ إلى أن المكان به جسمٌ مشعٌّ ... وأن مستوى الإشعاع بالمكان خارج حدود الأمان ... فغادروا الموقع مسرعين ... وتوجَّه «أحمد» إلى أحد ضباط المطافئ المشرفين على عملية الإطفاء ... وأخبره بالكارثة ... وطلب منه سرعةَ تأمين رجال الإنقاذ قبل دخولهم العنابر.

ولحسنِ الحظِّ كانت سياراتُ المطافئ مجهزة لكل الطوارئ ... فقام كبيرُ الضباط باستدعاءِ كلِّ قوة الإنقاذ ... وأمرهم بارتداء الملابس الواقية من الإشعاع ... في نفس الوقت

قام «أحمد» باستدعاء «عثمان» ... الذي أتى والإعياءُ بادٍ على وجهه ... وقد تحوَّلَت ملابسه إلى اللون الأسود من تأثير الأدخنة التي تعرَّض لها ... وقال له وهو يلهث: ماذا تريد يا «أحمد»؟

أحمد: أين تعمل الآن؟

عثمان: في عنابر العاملين بالموقع ... لماذا؟

أحمد: لقد اكتشفنا وجودَ أشعة قاتلة في المكان!

عثمان: في الموقع؟

أحمد: في العنابر بالذات.

عثمان: لم تُخبرني الساعة بذلك.

أحمد: ساعتُك ستحتاج لفحص بعدما تعرَّضَت له في هذا الحادث الرهيب.

عثمان: وهل يعني ذلك ألَّا أعودَ لمعاونة رجال الإنقاذ؟

شعر «أحمد» أن لدى «عثمان» رغبةً عارمة في استكمال ما كان يقوم به ... فكان لزامًا عليه أن يجدَ له مخرجًا من هذا الموقف ... ولم يجد إلَّا ضابط الإطفاء، فقال لـ «عثمان»: إن سيارات الإطفاء هنا مجهزةٌ بكل شيء ...

نظر له «عثمان» غير مصدق، وقال له: هل سأجد لديهم أردية مقاومة للإشعاع؟

أحمد: نعم ... والمسئول عنها هو كبير الضباط ...

عثمان: وهل سيوافق على إعطائي إحداها؟

أحمد: سأُحضرها لك أنا ...

وتوجَّه «أحمد» إلى كبير ضباط فِرَق الإنقاذ ... وشرح له الأمر ... وعندما أخبره بحاجتهم إلى بذلة واقية من الإشعاع قال له: الأمر لم يَعُد يحتاج لذلك ... فكل العنابر تقريبًا قد تمَّ تفريغها ...

والخطورة تكمن الآن في النار المشتعلة في هذا المستودع الضخم ... وكلُّنا نشعر بالقلق من أن تمتدَّ النارُ إلى بقية المستودعات ... فهذا سيؤدي إلى وقوع انفجارات وحرائق لا يمكننا السيطرة عليها ...

أحمد: هل الأمر سيِّئ إلى هذه الدرجة؟

كبير الضباط: أتعرف يا سيد «أحمد» ... إنه على بُعد عشرات الأمتار من هنا ... توجد مخازن ذخيرة ضخمة تخصُّ الجيش الثالث.

أحمد: في هذه الحالة عليكم أن تقوموا بإبلاغ القوات المسلحة ... فلديها ما يمكنها من أن تُعينَكم به.

كبير الضباط: هناك فرقة كاملة من سلاح الحرب الكيماوية في طريقها إلى هنا ...

أحمد: أنا الآن مطمئنٌّ على الموقع، فبتعاونِكم سيمرُّ الأمرُ بسلامٍ.

ودَّع الشياطين كبيرَ الضباط واستداروا ليخرجوا من البوابة الرئيسية للموقع ... حيث كانت تقف سياراتهم ... إلا أنهم قبل أن يستقلُّوا سياراتهم، تلفَّتوا حولهم وهم يبحثون عن المسئولين عن الشركة أو أيِّ موظفٍ بها، ولمحوا مجموعةً من الرجال متفاوتي الأعمار يلتفُّون حول سيارة «جراند شيروكي» ذهبية ... يحادثون أحدًا بداخلها ... لم يستطعِ الشياطين أن يرَوه من خلف الزجاج الأسود، فاقترح «عثمان» أن تتوجَّه إليهم «إلهام» وتُحادثهم ... فنظر إليها «أحمد» مستفسرًا ... فقال له موضحًا ما يدور برأسه: «إلهام» ستُحادثهم على أنها صحفيةٌ ... ووجود فتاة في هذا الوقت ... سيخفِّف كثيرًا من حدة التوتر الذي يُعاني منه الجميع في هذه الظروف ... وسينطلق الجميعُ في سردِ كلِّ ما يعرفونه وما لا يعرفونه ...

نظر له «أحمد» مبتسمًا ابتسامةً لم تُعجب «إلهام»، فقالت له معاتبةً في هدوء: أقال غير الحقيقة؟

اندهش «أحمد» لنبرةِ الثقة الزائدة في صوتها، فقال لها: لكِ حريةُ التصرف على أن تعودي إلينا بالنتيجة التي ننتظرها.

وبنفس الهدوء والثقة قالت له: سنعرف الكثير عن اللحظات الأخيرة للحريق ...

وفي انفعالٍ قال لها: ليس هذا فقط ما نريد معرفته.

إلهام: الأمور الأخرى ... لم يُخبرك أحدٌ بحقيقتها.

تدخَّل «عثمان» في الحديث قائلًا: «إلهام» معها حقٌّ ... فلن يُخبرَك أحدٌ بشيء لا يريدك أن تعرفه.

إلهام: وعليك أن تعثرَ عليه بنفسك.

أحمد: لم تفهموني ... أتعرفون علمَ قراءة ما وراء الكلمات؟

عثمان: أعرفه ... ولو أنه ليس علمًا ...

أحمد: لا ... إنه علم يُدرَّس ضمن ما يُسمَّى بالفراسة.

إلهام: المهم أنك تريدني أن أتحدَّثَ معهم في كلِّ شيء.

أحمد: أريد أن أعرف معلوماتهم عن أسباب الحادث ... وتصورهم لمن يكون المتسبب فيه.

إلهام: سأفعل ذلك ...

وقبل أن تتحرك ... كان أحد موظفي الشركة قد اقترب منهم وحيَّاهم ... وفي غمرة دهشتهم ردُّوا تحيتَه ... وهم ينظرون له في تساؤل ... ولم يتركهم طويلًا لحيرتهم ... بل قال لهم: أودُّ أن أشكرَ الأستاذ الأسمر لما قام به.

واندفع «عثمان» يُعرِّفه بنفسه قائلًا: اسمي «عثمان» ...

الموظف: شكرًا يا أستاذ «عثمان» ...

و أنا «فوزي» ... اسمي «فوزي» ... مدير عام العلاقات العامة بالشركة.

مدَّ له «عثمان» يدَه وحيَّاه بحرارةٍ، ثم قال له: هل الواقفون معك من موظفي الشركة؟

فوزي: إنه رئيس مجلس الإدارة ورؤساء الأقسام و...

أحمد: أنا «أحمد» من القيادة العامة ...

نظر له «فوزي» في تساؤل وقال له: القيادة العامة ... لماذا؟

انتاب «إلهام» و«عثمان» القلقُ ... فهل سيُصرِّح «أحمد» له بشخصيتهم؟! وحاولوا أن يُثنوه عن استكمال الحديث ... إلَّا أن «فوزي» لم يُمهلهم كثيرًا ... بل أجاب بنفسه على نفسه قائلًا: تقصد القيادة العامة للمخابرات؟!

عثمان في خطر!

ماذا كان يقصد «أحمد» عندما أخبر الموظف المدعو «فوزي» ... بأنهم من قيادة المخابرات العامة ... وهل كان يقصد ذلك ... أم أنه تورَّط في الموافقة على استنتاج «فوزي»؟

وقد كان لافتًا للنظر ... الوجوم الذي بدَا على وجهه حين وافقه «أحمد» ... وتركهم عائدًا إلى رؤسائه وخلال لحظات ... كانوا جميعًا يُحيطون بالشياطين ... ويتطوعون بإخبارهم بكلِّ شيءٍ ... دون أن يسألوهم عن شيء ...

شعر «أحمد» أنهم منفزعون ... ولكنه لم يجد تفسيرًا لذلك ... غير أن الخسارة الفادحة التي مُنيَت بها الشركة بسبب هذا الحريق الهائل ... ستجعل مركزَهم في الشركة ضعيفًا للغاية ... هذا غير عشرات التحقيقات التي سيتعرضون لها، من البوليس والنيابة والرقابة الإدارية والشئون القانونية للشركة ... وشركات التأمين ... إنها مرحلة عصيبة يمرون بها.

ولم يُعطهم فرصة ليتمالكوا أنفسهم ... بل سألهم قائلًا: هل أوراق الشركة بخير؟

واندفع أكثرهم يُجيب قائلًا: نحن لا نعرف شيئًا حتى الآن ... إن رجال المطافئ هم الذين يعرفون كلَّ شيءٍ عن أوراق الشركة وأوراقنا ... وديسكات الكمبيوتر التي تحوي كلَّ شيءٍ عن الشركة ...

شعر «أحمد» أن في الأمر شيئًا ... ورأى ذلك أيضًا في عينَي كلٍّ من «إلهام» و«عثمان» ... فعاد يسألهم مرة أخرى قائلًا: هل لهذه الأوراق نُسَخ لدى الشركة الأم؟

فوزي: لا ... ليست كل الأوراق لها نُسَخ ...

وكأنما قرأَت «إلهام» ما وراء هذه الأسئلة ... وشعرَت من الإجابات أن هؤلاء الموظفين متورطون في شيء كبير ... وأن هذا الحريق يُخفي خلف دخانه ... فضائحَ أخلاقيةً كبرى

... كالاختلاس ... أو إهدار المال العام أو ... وقالت «إلهام»: أشعر أن في الأمر خيانةً عظمى ... ألم يَقُل لنا الضابط إن هناك مخزنَ ذخيرة بالقرب من المستودعات؟

نظر لها «فوزي» في قلق ... وقبل أن ينطق ... سبقه «أحمد» قائلًا لها: ليس الأمر بهذه الخطورة ... ثم ربَّت على كتف «فوزي» وهو يقول له: أرجو أن تترك لنا رقم تليفونك وعنوانَ سكنك إذا كنت تريد أن تكون همزةَ الوصل بيننا وبين قيادات الشركة؟

وبابتسامة باهتة ... وصوت يُخفي قلقًا عميقًا قال له: نعم ... نعم يسرُّني ذلك ...

وفي طريق العودة إلى المقر كان الحوارُ بين الشياطين يدور حول سببِ اندلاعِ الحريق ... وهل هو غير مقصود ... أم بفعل فاعل؟

ولفت نظرَ «إلهام» شرودُ «عثمان» ... وقلَّة كلامه ... وردوده المقتضبة ... فهل كان ذلك بسببِ إجهادٍ أصابَه مما بذله من جهد ... أم أنه يتعامل مع المعلومات التي لديه ... وسيخرج بنتيجة عبقرية ... ويفجر كعادته قنبلةً مثيرة للتأمل؟ هذا ما انتظره أيضًا «أحمد» ... إلا أن الوقتَ طال دون أن يتحرك «عثمان»... فالتفتَ إلى الكنبة الخلفية حيث يجلس ... فوجده نائمًا فناداه ليُوقظَه ... فلم يستجِب ... ففعلها ثانية وثالثة فلم يتململ حتى في مقعده ... كذلك لم يستجِب لربْتِ «إلهام» على كتفه ... وعندما قامَت بقياس نبضه وجدَته رقم «صفر»، فصاحَت في جزعٍ قائلةً: «عثمان» في خطر يا «أحمد» ...

زمجرَت الفرامل بوحشية ... وتوقَّفَت السيارة بمحاذاة الرصيف ... وانفتح بابُها بعنف، وقفز منها «أحمد» ليفتحَ البابَ المجاورَ لـ «عثمان» ... ثم أدار مقبضًا أسفل المقعد الجالس عليه فتحوَّل إلى سرير ... فقام بعدل جسمه عليه ... ثم شرع في إجراء تنفُّس صناعي له إلا أنه لم يحصل على نتيجة ... فطلب من «إلهام» إحضارَ جهازِ الصدمات ... ولولاه ... لفقد الشياطين الـ «١٣» أكثرَ أعضائه سخونة وحيوية ... لقد كاد قلب «عثمان» أن يتوقف عن النبض تمامًا ... فقد ضعفَت نبضاتُه إلى الحد الذي لم يمكنهم فيها تسجيلها ...

وما إن فتح عينَيه ورأى وجهَ «أحمد» ... حتى قال له بصوت واهن: أين أنا ... ومَن أنت؟

نظر له «أحمد» مليًّا ... فسَمِع «إلهام» تسأله قائلة: ألم يُفِق بعد؟

وكأنه هو الآخر راح في غيبوبة فلم يسمع ما قالَته ... فأعادَته عليه قائلة: «أحمد» هل حدث شيءٌ سيِّئٌ ... ألم يُفق «عثمان» بعد؟

لم يكن لدى «أحمد» إجابةٌ على تساؤلاتها ... فهو لا يعرف إن كان «عثمان» أفاق أم لا ... إنه يتكلم ولكنه لا يعرفه ...

ولم تقوَ «إلهام» على الانتظار ... بل قفزَت من مقعدها ... وصعدَت إلى حيث ينام «عثمان» ... وعندما التقَت عيناها بعينَي «أحمد» ... رأَت فيهما الكثيرَ من الحيرة والقلق ... فالتفتَت جزعةً إلى «عثمان»، فرأته وقد أغمض عينَيه ... فسألت «أحمد» في قلق: ألم يُفِق بعد؟

نظر لها «أحمد» في تردُّدٍ ثم قال لها: نعم أفاق لثوانٍ ...

إلهام: هل تكلَّم؟

أحمد: نعم ... نعم ... تكلَّم ولكن ...

شعرَت «إلهام» بمزيد من القلق فسألتُه قائلةً: ولكن ماذا؟

ولم يجد بدًّا من أن يحكيَ لها قائلًا: لم يعرفني يا «إلهام»، سألني مَن أنت؟

التفتَت «إلهام» إلى «عثمان» ووضعَت كفَّها على جبهته تستشعر حرارته ... فوجدتها معقولة ... غير أنها قبل أن ترفع يدَها ... شعرَت بحرارته ترتفع تدريجيًّا وبسرعة ... فقالت لـ «أحمد»: يجب نقله إلى مستشفى المقر بسرعة ...

أحمد: اجلسي بجواره ... وسأصل بكم خلال دقائق إلى هناك.

وقبل أن يُغلق بابَ السيارة ... وبمجرد أن استقرَّ على كرسي قيادتها ... مدَّ يدَه ليُضيءَ «مصباح» إشارة أحمر ... لتُفسحَ له السيارات الطريق ...

ثم ضغط بعضَ الأزرار في كمبيوتر السيارة ... وربط حزام الأمان ... وأخذ نفَسًا عميقًا وانطلق كما تنطلق الطائرة في الهواء ... لا اهتزاز ... لا تمايُل ... إنه الاحتراف بعينه ... وعندما استدارَت السيارة حول ميدان الرماية ... اتصل بالمقر. وأخبرهم بحالة «عثمان» ... وطلب سرعةَ الاستعداد ... وبدلًا من التوجُّه إلى الباب الأمامي للمقر ... استدار حوله ... حتى واجهَ الباب الخلفي ... فضغط زرًّا في عجلة القيادة ... فانفتح الباب ... وما إن عبرَه حتى أُضيئَت كلُّ مصابيح الممر الموصل للمبنى.

وخلال دقائق كان «عثمان» نائمًا بين أكثر أجهزة الفحص تقدُّمًا في العالم ... وفي غرفة الانتظار وقف كلُّ زملائه ... والقلق يلفُّهم ... ينتظرون ما سيُخبرهم به الأطباء ... الذين امتلأت بهم قاعة الفحص.

وبعد دقائق مرَّت عليهم كالدهر ... خرج عليهم كبيرُ الأطباء ليقول لهم: الحالة تحت السيطرة ...

وكأنما لم تفهم «ريما» معنى ما يقول اندفعَت تسأله قائلة: ما معنى تحت السيطرة؟

كبير الأطباء: أي أنها لن تسوءَ أكثر من ذلك ...

اختلطَت همهماتُ الشياطين ... تُعبِّر عن قلقهم البالغ لما يقوله الطبيب ... ولم يتمالك «أحمد» نفسه، واندفع يقول: ما معنى تحت السيطرة ... وأنها لن تسوءَ أكثر من ذلك ... نحن لسنا صغارًا حتى لا تُصارحَنا بحقيقة الموقف ... ولدينا القدرة على أن نفهمك إذا ما شرحتَ لنا ما عنده ...

كبير الأطباء: آسف يا «أحمد» ... فليس لديَّ وقتٌ ... وأنا أُقدِّر مشاعركم جميعًا ... سأعود لفريق الأطباء ... وسأُرسل لكم أحدَ الأطباء المساعدين ليشرح لكم كلَّ شيء.

وعندما أرادَت «إلهام» أن تعتذرَ بالنيابة عن «أحمد» ... وتشرح موقفه ... رفع الطبيبُ يدَه ليُوقفَها عن الكلام وهو يقول: لا داعيَ للاعتذار ... إني أُقدِّر الموقفَ وأحترم مشاعركم جدًّا ... ولكن يكفي أن أقولَ لكم إنه تعرَّض لجرعة إشعاع كبيرة.

غرفة الاجتماعات!

شعر «أحمد» بوخز في رسغه من ساعة يده ... فعرَف أنها رسالة، فضغط زرًّا بها، وقرأ «توجَّهوا إلى قاعة الاجتماعات فورًا ... سألقاكم خلال دقائق.» وعندما رفع عينَيه رآهم ينظرون إليه جميعًا ... فقال لهم: إنه رقم «صفر» ...

ولو انتظرَت «ريما» لحظاتٍ ليُكملَ كلامَه لعرفَت كلَّ شيء ... إلا أنها كعادتها لم تستطع أن تقاومَ فضولَها ... فاندفعَت تسأله قائلة: هل عرف ما حدث؟

أحمد: نعم عرف.

وقاطعَته «ريما» مرة أخرى ... إلا أنه لم يُمهلها حتى تقولَ له ما تريد، بل قال لها يُؤنِّبُها: وهل سأستطيعُ تذكُّرَ شيء وأنتِ تلاحقينني هكذا؟

نظرَت له «ريما» نظرةَ خجلٍ ... اكتفى بها «أحمد» اعتذارًا ... وأكمل كلامَه قائلًا: سنتوجه فورًا إلى غرفة الاجتماعات ... فـ «رقم صفر» سيجتمع بنا فورًا ...

ثم نظر لـ «ريما» وقال لها يُداعبها: لو كان هنا مشاغبك الأكبر «عثمان»؟

وفي نبرةِ حزنٍ قاطعَته قائلة: كان الحديث أجمل كثيرًا ...

وفي غرفة الاجتماعات ... جلس الجميع وكأنَّ على رءوسهم الطير ... في انتظار أنفاس الزعيم «رقم صفر» ... الذي يُؤنسهم دائمًا عند كلِّ مصيبة يشعرون أنها أكبر منهم ... وهل هناك أكبر من احتمالِ فقْدِ صديق.

مساء الخير عليكم ... سمعوها بلهفة من الزعيم ... وهم يرَون الشاشةَ تُضيء ... ويظهر عليها وجهُ الزعيم وقد انحسر الضوءُ على معظمه ... فلم يتبيَّنوا تفاصيلَ وجهه ... ولكنهم على الأقل ... ولأول مرة يسمح الزعيم لهم ... بأن يرَوا ولو ظله ... فهل فعل ذلك ليُساندَهم في موقفهم العصيب؟ نعم إنه زعيمهم ... وهو يشعر بكلِّ خلجاتهم ... ويتجاوب معهم في أفراحهم وأحزانهم ...

إنه يعرف بفقدِهم لـ «عثمان» ... وافتقادهم له ... وهم جميعًا يُقدرون له ذلك.

كان صوتُهم خفيضًا حين ردُّوا عليه التحية ... ولكنْ ملؤُه لهفةٌ وودٌّ ... ولأنه يشعر بهم قال لهم: وصلني بالتفصيل ما وقع لـ «عثمان» وما حدث في شركة البتروكيماويات ... وهناك تحقيقات موسعة تجري على قدم وساق مع كلِّ قيادات الشركة ... والمسئولين بها.

أحمد: هل تسمح لي يا زعيم؟

رقم «صفر»: تكلَّم يا «أحمد» ...

أحمد: إذا كان تواجد «عثمان» في عنابر العاملين لفترة قصيرة ... قد فعل به كلَّ هذا ... فماذا حدث للعاملين إذن؟

رقم «صفر»: يقولون إن «عثمان» اقتحم مكانًا كان محظورًا على العاملين دخوله ...

إلهام: إذا أذنتَ لي يا سيدي ... لماذا لم يتمَّ غلقُه جيدًا؟

رقم «صفر»: قالوا إنه كان مُحكمَ الغلق ... ولكن النيران هي التي تسبَّبَت في تحطيمِ كلِّ شيء ...

ريما: وما حاجتُكم لوجودِ موادَّ مشعة في هذا المكان؟

رقم «صفر»: للكشف عن لحامات المستودعات والمواسير.

أحمد: أشعر أن هناك أسرارًا كثيرة لم نعرفها.

رقم «صفر»: أسرار عن ماذا؟

أحمد: أشعر أن هناك مَن تعرَّض للإشعاع من العاملين ... ومات ولا أحدَ يعرف عنه شيئًا ...

إلهام: ونشكُّ أن هذا الحريق مدبَّرٌ ...

رقم «صفر»: هل تقصدين أنه بفعلِ فاعلٍ؟

وفي صوت واحد دون قصد ... قال «أحمد» و«إلهام»: نعم ... بفعل فاعل ...

رقم «صفر»: سأترك الأمر لكم.

هذه الليلة ... ابحثوا جيدًا ... وسنوفر لكم كلَّ ما تحتاجونه من معلومات ... ولكن عليكم أن تناموا جيدًا ... لتستطيعوا العمل ... وفَّقكم الله.

انطفأَت الشاشة ... وأُضيئَت مصابيح القاعة ... وسرَت بين الزملاء همهماتٌ، وهم يهمُّون بمغادرة مقاعدهم ...

وبجوار باب الخروج التفُّوا حول «أحمد» و«إلهام» ... يستزيدون منهم من المعلومات ... حول حريق المستودع ... وإصابة «عثمان» ... ودورهم في المرحلة القادمة ...

ومرة أخرى شعر بوخز في رسغه من ساعة يده ... وعندما نظر إلى شاشتها قال لهم: مركز معلومات المقر يُرسل لنا آخر الأخبار ...

ريما: وما هي؟

أحمد: لقد انفجر المستودع!

مصباح: رغم كلِّ الجهود التي يقوم بها رجال الإطفاء.

إلهام: ووحدة الحرب الكيماوية في القوات المسلحة.

بو عمير: هل كنت ترى أن الأمرَ خطيرٌ إلى هذه الدرجة ... وأنهم لم يُمكنهم السيطرة على الحريق؟

أحمد: كان من الممكن مع المزيد من الجهد ... السيطرة عليه ...

إلهام: ألم أَقُل لك إني أشعر أن هناك خيانةً عظمى لهذه البلد!

أحمد: وهل أحد من الشركة متورطٌ فيها؟

إلهام: أشعر بهذا.

بو عمير: فلنُكمل حديثَنا في مركز المعلومات.

ورأَت «ريما» في توقُّف الحوار فرصةً لكي تُنفِّسَ عمَّا بداخلها ... فقالت لهم: ألن نسأل عن «عثمان»؟

أحمد: لا تقلقي ... لقد قالوا لنا إن حالتَه مستقرة ... والتخلُّص من تأثير الإشعاع سيحتاج لبعض الوقت.

لفَّت «إلهام» ذراعَها حول رقبةِ «ريما» وجذبَتها نحوها وهي تقول: سيكون بخير إن شاء الله.

في مركز المعلومات كانت أجهزةُ الكمبيوتر تعمل في انتظار الشياطين ... وعند جلوسهم أمام شاشتها ... وجد كلٌّ منهم رسالةً تنتظره تقول: الشياطين جميعًا مطلوبون للفحص الطبي ... وقياس نسبة الإشعاع ... برجاء التوجه إلى المركز الطبي بمجرد تلقِّي الرسالة.

وقبل أن يُعبِّرَ الشياطين عن دهشتهم ... قال لهم «أحمد»: هذا لأنكم اختلطتم بنا ...

وفي حيرةٍ نظرَت إليهم «ريما» وهي تقول: ما هذا القلق القومي الذي انتاب الجميع؟

أحمد: لا داعيَ للاعتراض على كلِّ شيء يا «ريما» ...

ثم نظر لبقية الزملاء يستحثُّهم على سرعة الحركة وهو يقول: لدينا الكثير من العمل ... وأرجو المعاونة على سرعة الانتهاء من هذا الفحص.

كان المركز الطبي يقع في مبنى مجاور لمبنى المقر ... ولم يستغرق وصولُهم إليه إلا دقائقَ معدودةً، وهناك خضعوا لفحص دقيق ... بأجهزة غاية في التقدم ... على يدِ أساتذة

وعلماء مهرة ... وكان من بينهم الطبيب المسئول عن الفحص الدوري لهم وهو دكتور «صفوت» ... وكان قريبًا لقلوبهم كثيرًا ... وهذا ما شجَّع «أحمد» على أن يُحادثَه فيما يشغله قائلًا: كيف حال «عثمان» يا دكتور؟

د. «صفوت»: حالتُه مستقرة ...

أحمد: هل ما حدث له سببُه أشعةٌ ضارة؟

د. «صفوت»: ماذا تقصد؟

أحمد: أقصد أن الأشعة لكي تُصيبَ إنسانًا إلى هذه الدرجة ... وفي هذا الوقت القصير ... لا يمكن أن تصدرَ عن جهازِ كشفٍ على لحامات.

د. «صفوت»: هل ترى أن هناك شيئًا آخر لا نعرفه؟

أحمد: نعم ... وإلا ما قمتم بفحصنا ...

د. «صفوت»: إنه إجراءٌ وقائي ...

أحمد: أعرف ... ولكن الوضع خطير ...

د. «صفوت»: وما خطورته؟

أحمد: إننا بصددِ مرضٍ وبائي ...

أصابَت الحيرةُ والدهشة د. «صفوت» ... وتردَّد في الكلام كثيرًا قبل أن يقول: لقد أصابَت الأشعةُ جهازَ المناعة عند «عثمان» وأضعفَته ... فتعرَّض لفيروس لا نعرف كُنهَه ونخاف أن يكون قد انتقل إليكم.

رحلة الأخطار!

كان هذا ما يظنُّه «أحمد» ... وكان يُقلقه كثيرًا أن يكون هذا مصير «عثمان»، ولم يستطع ليلتَها أن ينام.

ولم يفارقه النومُ وحده ... فقد تلقَّى اتصالًا من «إلهام» تطلب من التوجُّه إلى قاعة المعيشة ... وهناك دار بينهما حوارٌ حول ما دار وما يدور ... وكانت نتيجتُه ... هو قرار السفر إلى «خليج السويس» حيث مصنع البتروكيماويات للحصول على الجسم المشع ... والاستقصاء حوله ... وهنا سألَته «إلهام» قائلة: هل عرفت نتيجة الفحص؟

أحمد: نعم سلبية للجميع ...

إلهام: الحمد لله ... أيمكن أن تكون هكذا أيضًا لـ «عثمان»؟

أحمد: لقد بدَت عليه أعراض ... جعلَتهم مع الفحص يشكُّون في إصابته بمرض لا يعرفونه.

إلهام: وما داموا لا يعرفونه ... كيف يجزمون؟

أحمد: المهم الآن هل سنقوم بهذه الرحلة وحدنا ... ودون أن نُبلغَ رقم «صفر»؟

إلهام: فسنقوم باستدعاء «مصباح» و«رشيد»، وسنتصل برقم «صفر» ونحن في الطريق.

أحمد: أوافق.

وبالفعل ... قام «أحمد» بالاتصال بـ «مصباح» و«رشيد»، وشرح لها ما ينوي القيام به ... والتقى به الجميع في جراج المقر ... وخلال دقائق ... كانت السيارة «الجراند شيروكي الذهبية» تقطع الممر إلى البوابة الخارجية ... ثم تعبرها إلى الطريق.

لم تستغرق المسافة من المقر إلى أول طريق السويس سوى دقائق معدودة ... فالساعة الثالثة فجرًا ... وكل الناس نيامٌ ... والطريقُ خالٍ إلا من بعض السيارات المتجهة إلى المطار ... أو بعض سيارات النقل ...

إلا أنهم بعد أن دخلوا طريق السويس ... شعروا أنهم ليسوا وحدهم المستيقظين ... فالسيارات من كلِّ نوعٍ تجري في سرعةٍ فائقة ... حتى سيارات النقل ... وكأنهم يشعرون أن في هذا الوقت المبكر ... لن يكون هناك مراقبةٌ مرورية ... لا من رجال المرور ولا من الرادار إلا أن حساباتهم كانت خاطئة ... فعند الكيلو سبعين رأى الشياطين الكثيرَ من السيارات تقف على جانبَي الطريق. وسائقوها يلتفُّون حول ضابط المرور ... وقبل أن يُبلغَهم أشار له أحدُ الأمناء لكي يقفَ ... وبالفعل توقَّف ... إلا أنه ترك المحرك دائرًا ... فقال له الأمين: أطفئ المحرك وأعطني أوراقك.

فأخرج أوراقه من جيبه ... ثم أعطاها له دون أن يُطفئَ محرك السيارة ... وقبل أن ينظرَ الأمين في الأوراق قال له في نفاد صبر: ألم أطلب منك أن تُطفئَ محركَ السيارة؟

فنظر له «أحمد» ثم قال في هدوء: أرجو أن تفحص الأوراق بسرعة ... فليس لدينا وقتٌ ...

ازداد انفعالُ الأمين ... وقال له: انزل من السيارة ...

كاد صبر «أحمد» ينفد ... ولولا أنه يُقدِّر ظروفَ عمله ... لاتَّصلَ برؤسائه ... إلا أنه تمالك أعصابه وقال له: هل يمكنك أن تفحص أوراقنا ... أم أذهب بها إلى قائد الحملة؟

شعر الأمين ... أن اللهجة الحادة التي يُحادثه بها «أحمد» تستلزم أن ينظر في أوراقه ليعرفَ مَن هو ... وما سببُ عجلته؟

وبعد دقائق غابها عن عيونهم عاد ومعه الضابط ... وما إن رآه «أحمد» حتى شرع في النزول من السيارة ... إلا أنه منعه من ذلك ... وحيَّاهم جميعًا ... وأعطاه أوراقه وتمنَّى له التوفيق.

وهكذا عاد «أحمد» للانطلاق على الطريق. ومن خلفه السيارات التي انتهَت من فحص أوراقها ...

وأثار دهشةَ الشياطين أن نفس السيارات عادَت مرة أخرى لتجاوزَ السرعةَ والتسابقَ بأسلوب خطير ... بمجرد أن غابَت عن أعين رجال المرور.

وقبل دخول السويس بعشرة كيلومترات ... انقلبَت إحدى السيارات بعد أن اصطدمَت بسيارة نقل ثقيل ... ورغم أن الشياطين لم يكن لديهم وقتٌ إلا أنهم آثروا أن يتوقَّفوا لمعاونة المصابين ... وقد وجدوهم في حالة خطيرة ... فقاموا بالاتصال بشرطة النجدة ... ونقطة الإسعاف القريبة منهم ... وقد وجدوا أن هذا كل ما يستطيعون القيام به ... فالسيارة المقلوبة تحتاج إلى ونش لرفعها حتى يصلوا إلى مَن بداخلها ... فعادوا إلى

سيارتهم ... ليستكملوا الطريق ... إلى السويس حيث مصنع البيتروكيماويات ... وبعد دقائق من سيرهم ... شاهدوا سيارتَي إسعاف وسيارة نجدة في طريقها إلى مكان الحادث ... فقالَت «إلهام»: هل سيجدون بينهم أحياء؟

رشيد: قد يجدونهم كلهم أحياء ... ولكنهم مصابون وستُقلُّهم سيارةُ الإسعاف ...

مصباح: هل ما فعلناه صواب؟

أحمد: ماذا تقصد؟

مصباح: أقصد ألَّا نحاولَ إنقاذهم.

إلهام: لقد قمنا بواجبنا كاملًا ... ولا داعيَ لهذا الإحساس بالتقصير ...

رشيد: لم يكن بوسعنا فعلُ شيءٍ آخر؛ فالسيارة قابعةٌ فوقهم ... وهم بداخلها.

أحمد: هم الملومون لا نحن ... فلولا استهتارُهم ما حدث لهم هذا ...

مصباح: هذه السيارة لم تكن ضمن السيارات المسرعة التي كانت معنا على الطريق ...

أحمد: هل أنت متأكد؟

مصباح: نعم ... لقد كانت تسير قبلنا ... ولكن السيارات المسرعة هي السبب في انقلابها.

إلهام: ماذا تعني؟

رشيد: يقصد أن هذه السيارات كانت تجري للحاق بها عن قصد ...

أحمد: إذا ما حدث ليس حادثًا قدريًّا؟

رشيد: بل إنه متعمدٌ ...

زمجرَت فرامل السيارات بشدة وهي تنحرف عن الطريق ... ثم تصعد وتهبط مرتين لتعبرَ الجزيرة الوسطى إلى الاتجاه المعاكس ... وتنطلق عائدةً من حيث أتت ... وسط ذهول الشياطين عدا «أحمد» الذي قام بكل هذا ...

ولم ينطق بكلمة ... ولم يُدِر وجهه عن الطريق ... حتى وصل إلى موقع الحادث ... ففعل ما فعله مرة أخرى في عبور الجزيرة الوسطى ... ثم توقَّف في موقع الحادث بالضبط فوجدوا السيارة وقد استوَت على عجلاتها وقد تفحَّمَت تمامًا ... وما زالت بها نارٌ مشتعلة، فقفزوا من السيارة في انفعال ... وصاح «مصباح» يقول: هل اشتعلت قبل حضور الشرطة والإسعاف؟

أحمد: هل ترى بها جثثًا متفحمة؟

رشيد: ليس بها أحد ... وكيف اشتعلت إذن بعد كلِّ هذا؟

مصباح: إما أن أحدًا أشعلها ... أو أنها كانت مفخخةً ...

إلهام: لو كانت مفخخة لما احتاجَت لأن يُرسلوا مَن يطاردها ليقلبَها.

أحمد: إذن هناك مَن أشعل فيها النيران لإخفاءِ شيءٍ ما، ونحتاج الآن لحقيبة المعدات لفحصها.

مصباح: سأُحضرها لك.

وما إن ذهب «مصباح» لإحضار الحقيبة ... حتى صرخَت فيه «إلهام» قائلةً: «مصباح» ... انبطح على الأرض ...

ولم يلتفت إليها «مصباح» ... بل انبطح بمجرد أن سَمِع صوتها ... ودوَّى في الأفق انفجارٌ هائل ... وتطايرَت سيارتُهم شظايا وأشلاء ... وتبعثرَت في كلِّ مكان ... وسط ذهولهم وعدم تصديق لما يجري ...

كيف انفجرَت السيارة ... هل عبثَ بها أحدٌ الآن ... أم أنها كانت مفخخةً من قبل ... مَن الذي فعل ذلك ومتى؟ هل وهم يحاولون إنقاذَ مَن بالسيارة ... وكان المقصود أن تنفجرَ بهم؟

عندما عاد «مصباح» كان ظهرُه من كعبه حتى رأسه مغطًّى بالسواد، والرمال تُغطِّي صدرَه وساقَيه ... بل ووجهه ... وبصعوبةٍ حاول أن يُزيلَ الرمال عن عينَيه ... إلا أن يدَيه كانتَا مغطتَين بالرمال أيضًا ... فأجلسَته «إلهام» أمامها ... وشرعَت تُزيل بما لديها من مناديل ورقية ما عَلِق بوجهه من رمال ...

وفي نفس الوقت قام «أحمد» بالاتصال بمقر المنظمة في «السويس»، وطلب منهم إرسالَ سيارةٍ مجهزة لهم.

اختطاف

استطاع «مصباح» أن يرى أخيرًا، إلا أنه شعر بألمٍ في جفون عينَيه من تأثير احتكاك الرمال بها. وما إن رأى احتكاكَ الرمال بها حتى قال له: نحن مطاردون يا رجل ...

نظر له «أحمد» مبتسمًا وقال له: أعرف يا صديقي ... ولكن منذ متى؟

مصباح: منذ خروجنا من «القاهرة».

رشيد: ولماذا لا يكون منذ محاولتنا إنقاذ مَن بالسيارة؟

وبلهجةِ المكتشفين وحماسهم قالت «إلهام»: مَن كانوا بالسيارة ... نعم ... هؤلاء هم أول الخيط ...

أحمد: أول الخيط لماذا؟

إلهام: أول الخيط للوصول لَمن يطاردوننا ويحاولون قتلنا.

أحمد: سأتصل بالمقر في «السويس»، وأُبلغهم بأننا في الطريق إليهم ... ولا داعيَ لإرسال السيارة إلى هنا.

مصباح: وكيف سنذهب إلى «السويس»؟

أحمد: في سيارة أجرة.

ولحسنِ حظِّهم أنهم لم يحتاجوا لسيارة أجرة ... فقد تطوَّعَت إحدى المسافرات على الطريق بأخذهم في سيارتها إلى «السويس».

ورغم أنهم شكروها بحرارة ... إلا أنها لم تتنازل عمَّا كانت تنويه لهم ... فبعد أن قطعوا أكثرَ من نصف المسافة خرج لهم من دواسة الكنبة الأخيرة رجلان مسلَّحان طلبَا منهم التزامَ الهدوء ... لأنهم سينحرفون إلى نفق الشهيد «أحمد حمدي» ... وعليهم ألَّا يسألوا عمَّا يحدث، وإلى أين هم ذاهبون.

كادَت الحيرة تعصف بالشياطين ... فهم حتى الآن مطاردون ومعرَّضون للقتل ... وتم تفجيرُ سيارتهم وهم لا يعرفون سببًا لكل هذا.

إلا أنَّ رغبةً ملحةً في أن يعرفوا دفعَت «إلهام» لأن تسأل قائدةَ السيارة قائلةً: هل تعرفوننا؟

وفي عدمِ اكتراثٍ قالت لها: لا.

إلهام: ونحن لا نعرفكم ... فلماذا تخطفوننا؟!

الفتاة: إنها أوامر.

إلهام: أوامر من مَن؟

الفتاة: هذا ليس شأني ولا شأنك ...

إلهام: ألا تعرفي مع مَن تعملين؟

وفي نفادِ صبرٍ قالت لها: لا مزيد من الأسئلة ...

وفي صبرٍ شديدٍ قالت لها «إلهام»: هل أنتم عصابة ... أم جهاز مخابرات دولية معادية؟

عند هذا صرخَت الفتاة قائلةً: جيم ...

ثم توقَّفَت بالسيارة ... ونزل أحدُ الرجال شاهرًا سلاحَه ... وظل مصوِّبَه على «إلهام» عن بعد ... حتى اقتربَت منها ... ففتح الباب ... وكأنها اللحظة التي انتظرها الشياطين ... فقد دفعَت «إلهام» البابَ بقدمها بقوةٍ ... فاصطدم بالرجل ... وفي اللحظة التي طوَّح «أحمد» ذراعَه فيها ... فأصاب الرجل الجالس خلفه، باختلال في توازنه، وابتعدَت فوهةُ مسدسَيهما عن الشياطين، فطارت أقدامُهم هنا وهناك وانطلقَت قبضاتهم في ضربات ماهرة ... قوية ... متتالية أسقطَت الرجلين خارج السيارة ...

وفي نفس اللحظة انطلقَت الفتاة بها مبتعدةً في سرعة قاسية ... غير أنها استدارَت وعادَت كالرصاصة لتخترقَ تجمُّعَ الشياطين ... حتى كادَت أن تدهسَهم.

فصوَّب «مصباح» مسدسَه عليها ... إلا أنها دارَت دورةً واسعة حولهم ... وفي مهارة شيطانية، فأخطأَتها كلُّ الطلقات التي أطلقها.

وبنفس السرعة ... عادَت ... إلا أنها ومن بين دهشتهم، فتحَت الباب المجاور لها، وقذفَت بنفسها خارج السيارة ... فجروا هنا وهناك بعيدًا عن مسار السيارة ... ولم يتوقَّفوا. واصلوا الجريَ ... فقد عرفوا أن السيارة ستنفجر ...

وحين التفتوا ليروا ما حدث ... وجدوا الفتاة وقد علَّقَت ملابسَها بباب السيارة ... والسيارة تجرُّها خلفها بقسوة ...

ولم تمضِ سوى لحظات، ودوَّى في الصحراء صوتُ انفجارٍ مروع ...

ووقفوا جميعًا يشاهدون جسدَ الفتاة يطير مشوَّهًا في الهواء ... وسط شظايا السيارة ...

وتلفَّتوا حولهم ... فلم يجدوا الرجلَين، فصاح «أحمد» قائلًا بحزم: «مصباح» ... «رشيد» ... يجب ألَّا يضيعَ هذين الرجلين ...

قفزَت «إلهام» من أعلى التل ... قفزاتٍ متتاليةً ... حتى صارَت أسفله ... ثم جرت إلى الطريق الأسفلتي ... فرأتْهما وقد تعلَّقَا بمؤخرة سيارة نقل ... ما لبثَت أن اختفَت عن نظرِها ... فعادَت مرهقةً إلى زملائها ...

وعلى أقربِ صخرةٍ قابلَتها جلسَت ... ورأَت عن بُعدٍ زملاءَها قادمين ... ومن خلفهم يبدو جبل عتاقة كالمارد ... ولونه الأحمر القاتم يختلط بلون الشمس التي تُطلُّ من خلفه ... فيُثير في خيالها كثيرًا من الافكار المجنونة.

وبجوارها ... وبمجرد أن وصلوا إليها، جلسوا منهكين ... فكلُّ هذه المفاجآت ... وكل هذه الأحداث وكل هذا الجري ... واليوم لم يبدأ بعد ...

ونظر لهم «مصباح» مليًّا ثم قال: وماذا بعد؟

إلهام: هناك الكثير ...

مصباح: أنا لن أستطيعَ العمل هكذا ... أريد أن أستحمَّ ... أن أستبدلَ ملابسي ... أن أتناول فطوري ... أنا جائعٌ جدًّا ... ظمآن جدًّا ...

وفي هذه اللحظة انتابَت «أحمد» حالةٌ من الضحك الشديد ... وصلَت عدواها إلى «رشيد» فحمَّسَا بعضهما ... ولم يتوقَّفَا ... إلا عندما قالَت لهما «إلهام»: لم يكن الفحصُ بالأمس سلبيًّا ... فأكملَت قائلة في جديَّة شديدة: لقد أصابكم فيروس خطير ... وسألها «رشيد» وهو غيرُ مصدقٍ: وما هو ...

إلهام: جنون البقر ...

كاد «رشيد» أن يعودَ للضحك ... إلا أنه تذكَّر «عثمان»، فقال لها: لماذا تذكِّريني يا «إلهام»؟

إلهام: بماذا؟

رشيد: بـ «عثمان».

ورأى «أحمد» أن الأمور ستخرج عن سيطرته فقال لهم: فلننتبه لما نحن مقدمون عليه ... نحن في موقف خطير للغاية ... فنحن الآن مستهدَفون ويتمُّ تصفيتُنا، ونحن لا نعرف مَن عدونا؟

مصباح: إنه مقرُّ مستودع الكيماويات.
أحمد: ومَن هو؟
رشيد: إنه مَن قلَب السيارة وبها أثرياء ...
إلهام: مَن هو؟
مصباح: إنه مَن لغَّم سيارتنا ليقتلَنا فيها ...
أحمد: ومَن هو؟
رشيد: إنه مَن أرسل هذه الفتاة ومعها الرجلان ليخطفانا ...
إلهام: مَن هو؟
مصباح: إنه مَن سيقتل «عثمان».
وفي صوت واحد صاح الجميع قائلين: ماذا؟

عودة عثمان

أعاد «أحمد» الاتصال بمقر «السويس» فلم يُجبه أحد ... فقام بالاتصال بمقر «القاهرة» ... وطلب منهم سرعةَ إرسال سيارة مجهزة لهم مع الكثير من الطعام للإفطار ...

ولم تمضِ ساعة إلا والسيارة كانت تقف قريبًا منهم على الطريق ...

ورغم أنهم كانوا يعرفونها إلا أنهم تركوا «أحمد» يستطلع الأمرَ وحدَه أولًا ... وقاموا هم بحمايته من بعيد ... وفي حذرٍ اقترب من السيارة ... وهو ينظر بداخلها ... محاولًا معرفةَ مَن سائقها.

وبعد أن اقترب لمسافة كافية، أخذ يُحدِّق غير مصدق ... ويمسح عينَيه ... ثم يعود يُحدِّق مرة أخرى ... وزملاؤه يراقبونه مندهشين ... فقالت «إلهام» تسأله: ماذا بك يا «أحمد»، ماذا رأيت؟

وفي فرحة غامرة ... وعدم تصديق صاح قائلًا: إنه «عثمان» ... إنه «عثمان» ... يا «إلهام» ...

غادر «عثمان» السيارةَ، وعانق زملاءَه بحرارة ... ثم عادوا معه ليركبوها ... ويقودها وهو سعيد بهم ...

فقال له «أحمد»: كيف تركَتك «ريما» تأتي وحدك؟

عثمان: إنها لم ترَني ...

أحمد: ألَا تعرف أنك تعافيتَ؟

عثمان: لا أحدَ يعرف أني غادرتُ المستشفى أو المقر ...

أحمد: ولا حتى الأطباء؟

عثمان: لا ... الأطباء يعرفون ... وقد سمحوا لي بالخروج والحركة وفعل كلِّ شيء بعد فحص دقيق وشامل ...

إلهام: ومَن أخبرك باتصالنا وبما نحتاجه؟

عثمان: قائد المقر ... وهو الذي اختارني لهذه المهمة ...

أحمد: الحمد لله على سلامتك ...

عثمان: أشكركم جميعًا ...

وفي الطريق تناولوا إفطارهم جميعًا ... حتى «عثمان» ... الذي لم ينسَ أن يُحضرَ لهم شايًا ساخنًا ... غسل كلَّ مشاعر الإرهاق.

وكما قالت «إلهام» ... كان «عثمان» أحلى من كوب الشاي الساخن في هذا الظرف العصيب، وقد ابتسم لهذه المجاملة في سعادة ... وسألهم: ما الخطوة التالية؟

أحمد: البحث عن المصابين الذين كانوا في السيارة المقلوبة.

عثمان: البحث عنهم أين؟

أحمد: في مستشفيات «السويس».

عثمان: ولماذا لا تسأل عنهم في قسم الشرطة ... ألم يسجلوا كحوادث؟

أحمد: نحن لا نريد ذلك ... فهناك مَن يتبعنا ... ولا نريد أن يعرف أننا نتبعه ...

إلهام: إن سؤالنا في المستشفيات سوف يُنبههم لنا أيضًا.

أحمد: المهم طريقة السؤال ...

عثمان: سوف أطلب من المقر أن يسأل في قسم حوادث الطرق ...

إلهام: انتبه أنت في الطريق ... وسأقوم أنا بالاتصال ...

كان الشياطين يرون أن الوصول إلى هؤلاء المصابين ... هو كالحصول على خاتم «سليمان»، فبهم وبالمعلومات التي سيحصلون عليها منهم ... سيمكنهم الوصول إلى الرأسِ المدبِّر لكل هذا.

إلا أن «عثمان» كان مشغولًا بالأحداث من زاوية أخرى ... وهو ما صرح به لـ «إلهام» قائلًا: هل لكل ما حدث لكم ... علاقة بحريق مستودع الكيماويات؟

ولأن الموضوع كان يشغل «أحمد» فقد أجاب بمجرد أن سمع السؤال قائلًا: حتى الآن الرؤية غير واضحة ... إلا أن كلَّ المعطيات ... تقول إن هناك علاقة ...

عثمان: وأنا أرى ذلك ...

وفي هذه اللحظة تلقَّوا اتصالًا من قائد المقر ... وقد أجابه «أحمد» ... وفي نهايته قال لهم: لم يجدوا للمصابين أيَّ أثر؟ مَن الذي حملهم إذن ... وحملهم إلى أين ... فكما قالت «إلهام»: لقد رأينا بعيوننا سيارات الإسعاف وهي في طريقها إليهم.

رشيد: قد يكون أحد الرجال قد استأجر سيارة إسعاف لنقلهم إلى مكان ما ...

مصباح: إذن فهؤلاء الناس في خطر ... فمهما كان هذا المكان ... فلن يكون مجهزًا لاستقبال مثل هؤلاء المصابين.

أحمد: هذا إذا كانوا هم المتسبِّبين عن عمد في انقلاب سيارتهم.

عثمان: تقصدين أنهم في طريقهم للقضاء عليهم؟

أحمد: تقصد أنهم لم يفعلوا ذلك حتى الآن؟

عثمان: علينا أن نتحرك بناء على هذا الاحتمال.

رشيد: الخطوة التالية حصر سيارات الإسعاف الموجودة في منطقة «السويس».

وبالفعل قضَوا قرابة ساعتين في البحث عن سيارة الإسعاف التي حملَت المصابين فلم يتوصلوا إليها ... ولم يَعُد أمامهم إلا الذهاب إلى موقع حادثة المستودع ... في شركة البتروكيماويات.

وقد كان الطريق خاليًا من المارة ... وعلى مسافات غير متباعدة فيه ... وضعَت المتاريس ... ومنع المرور ...

وقد استوقفهم في أوله ضابطٌ شابٌّ وسألهم عن هويتهم ... فأخرج له «أحمد» بطاقته الأمنية ... فرحَّب بهم ... وسمح لهم ... وقام بالاتصال ببقية نقاط التفتيش على الطريق، فلم تُعارضهم أيٌّ منها أثناء سيرهم.

وعندما وصلوا إلى البوابة الخارجية وجدوها مغلقة ... ولم يجدوا مَن يفتحها لهم، فعادوا إلى أقرب نقاط التفتيش لهم ... فلم يجدوا بها أحدًا ... فظنوا أنهم ذهبوا يتآمرون مع أصدقائهم في النقطة التالية ... فذهبوا إليها ... إلا أنهم لم يجدوا أحدًا ... فتبادلوا نظراتِ الدهشة ... ولم يتبقَّ أمامهم إلا نقطة واحدة ... وفي هذه اللحظة قال لهم «أحمد»: هذا المكان سينفجر ...

إلهام: كيف عرفت؟

أحمد: ليس الآن ... المهم الآن أن نخرج بأسرع ما يمكننا ...

وانطلقوا عائدين بالسيارة لأول الطريق ... فلم يجدوا الضابط ... ووجدوا الطريقَ قد أغلقَته المتاريس ... ولن يستطيعوا المرورَ بالسيارة ...

وعبثًا حاولوا إزاحةَ هذه المتاريس ... فقال لهم «رشيد»: إنها تحتاج إلى ونش ...

مصباح: وكيف وضعوها؟

رشيد: وضعوها أيضًا بونش ...

وفي نفاد صبر قال «أحمد»: لقد كانت على جانبَي الطريق ... ونحن قادمون ولم تكن في منتصفه هكذا ...

إلهام: لقد قصدوا أن يحبسونا بالداخل.

رشيد: وهل الضابط ومَن معه متواطئون معهم؟

عثمان: ومَن قال لك إنه ضابطٌ ... إنه فخٌّ ...

أحمد: نعم يا «عثمان» ... إنه فخٌّ ... ونحن الآن في المصيدة ...

إلهام: فلنترك السيارة ونهرب ...

أحمد: لن يتركونا نهرب ... إذا كانوا يقصدون سجننا ...

رشيد: هم لا يقصدون سجننا فقط ...

مصباح: وماذا أيضًا يا «رشيد»؟

رشيد: إنهم يريدون تفجيرنا ... المصيدة ...

حاول الشياطين استخدامَ أجهزة الاتصال التي بحوزتهم ... فلم يُفلحوا ... فتليفوناتهم المحمولة كانت خارجَ نطاق الخدمة ... وساعاتهم ... تحوَّلَت شاشاتُها إلى قطعة زجاج ... لا أرقام عليها ولا بيانات ... ولم يَعُد أمامهم غير التصرف عكس ما تقتضي الحكمة ... ويحكم العقل ... وهو ما يتصوَّره خصومُهم ... ولم يعملوا حسابه ...

فقد استداروا بالسيارة ... وانطلقوا إلى حيث البوابة المؤدية إلى موقع المستودعات فاصطدمَت بالباب لفتحه ... فبدَا لهم أنه لم يكن مغلقًا ... وقد انفتح بسهولة ...

وعبروه إلى موقع المستودعات ... فمرُّوا بجوار أطلال المستودع المحترق ...

ومنه إلى بقية المستودعات، حتى وصلوا إلى الجانب الآخر من السور المحيط بها ... فساروا في محاذاته ... حتى وجدوا بوابة أخرى مغلقة ... فحاولوا فتْحَها بطرق شتى فلم يُفلحوا ... فعاد «عثمان» بسيارته للخلف ... ثم انطلق بسرعة ... فصدم الباب ... الذي تطوَّحَت ضلفتاه على جانبَي الطريق ... وانطلق هو بالسيارة ومعه فيها الشياطين الأربعة.

وقد كانت مفاجأةً للحراس ... وهم يرَون سيارة الشياطين تندفع كالطلقة لا شيءَ يُوقفها ... وقد حاولَا الدفعَ ببعض العوائق في طريقها ... إلا أنهم لم يتمكَّنوا ... فقد لحقَت بهم السيارة ... وصدمَت أحدهم ... فطوَّحَته على جانب الطريق.

وقبل أن يخرج من حرم المصنع ... سَمِع صوتًا لأكثر من محرك سيارة خلفه ...

فعرف أنهم خرجوا في أثره ... كل هذا ولم يعرفوا حتى الآن ... مَن هم مطاردوهم ...

وعندما خرجوا إلى الطريق ... اختفَت السيارات المطاردة.

وعندما داروا حول حرم المصنع ... وجدوا المتاريسَ قد وُضعَت من جديد ... والضابط والجنود وقد وقفوا من جديد.

إنه لأمرٌ محيِّرٌ حقًّا ... فهل كلُّ هؤلاء يعملون لحساب المخربين المجهولين.

هل هذا ضابط حقيقي يا «عثمان»؟

هكذا سأله «أحمد» ... فقال له: علينا بالاتصال برجال الأمن ... وهم سيدلوننا ...

إلهام: إن ما حدث من تفجير للمستودع ولسيارة المصابين ... وسيارتنا ومطاردتنا حتى الموت ... يقول إن مطاردينا يعملون لحسابِ قوًى لا يُستهان بها.

أحمد: تقصدين أصحاب مصالح عُليا؟

إلهام: نعم ...

رشيد: أنا لا أعتقد أن هذا يحدث في مصر ...

أحمد: إن مصر دائمًا مستهدفة ... ولكنهم لم يجدوا فرصتهم كاملة ... سنقضي على هؤلاء العملاء ...

إلهام: أنا أرى أن ما حدث لم يكن المقصود به مخزن الذخيرة.

عثمان: وما المقصود إذن؟

إلهام: ضرب الاقتصاد في مصر.

أحمد: ولماذا هذا المصنع بالذات؟

إلهام: لأنها صناعة جديدة في مصر ... وثقيلة ... وهي ترفع من سعر البترول ... لأنها تبيعه منتجات، وإذا نجح ...

عثمان: سيشجع هذا بقية الدول العربية على السير في نفس الاتجاه.

رشيد: ولكن صناعات البتروكيماويات موجودة في المنطقة العربية.

أحمد: ولكن هذا المنتج الذي حرقوا مستودعه ... يُنتج لأول مرة في الشرق الأوسط.

مصباح: إذن علينا أن نمنع ترهيب المستثمرين ... وتخريب الاقتصاد القومي ...

أحمد: هذا أمرٌ جيد ... ولكم عندي أخبار سعيدة ...

إلهام: ما هي؟

أحمد: لقد عرفتُ الكثير من المعلومات عن العميل الذي يقوم بكل ذلك.

عثمان: مَن هو؟

أحمد: لم أعرف مَن هو بعد ... ولكني اقتربت.

إلهام: لا ... أنت تعرف مَن هو ... ولكنك تريد أن تتأكد ... أليس كذلك؟

أحمد: نعم ...

ولم يستطع «عثمان» التزامَ الصمت ... فقال لهم: إنه «فوزي» ...

وأثار الخبرُ «رشيد»، فقال يسألهم: «فوزي» ... مَن؟

أحمد: مدير العلاقات العامة للشركة ...

إلهام: ولماذا هو بالذات ...

أحمد: لقد جمعتُ عنه بعضَ المعلومات ... فهو كثيرُ السفر للخارج ... وعلى اتصال بكثير من الشركات خارج «مصر» ... وله أصدقاء من كلِّ الجنسيات.

عثمان: هذا ليس دليل إدانة ...

مصباح: نعم ... فهو من ضروريات وظيفته ...

أحمد: هذا الرجل حقَّق ثروةً كبيرة بالنسبة لدخله ... وليس له عملٌ آخر غير وظيفته في الشركة ...

إلهام: من الممكن أن يكون فسادًا داخليًّا ...

أحمد: مثل ماذا؟

إلهام: مثل الاقتطاع من موارد الشركة.

أحمد: لقد تم تحويل مبالغ من الخارج له ...

إلهام: أي أن له حسابًا متضخمًا في البنك؟

أحمد: نعم ... ولكن ليس باسمه ...

رشيد: باسم زوجته؟

أحمد: لا، باسم «فوزي محفوظ».

إلهام: ومَن «فهمي محفوظ» هذا؟

أحمد: إنه هو ...

نظروا جميعًا إليه غيرَ مصدقين لما يقول ... وضم «عثمان» حاجبَيه ومدَّ رقبته وهو يسأله: أتقصد أن له اسمَين؟

أحمد: نعم ... وبطاقتَين.

إلهام: أي علينا أن نبحث الآن عن «فهمي محفوظ»؟!

عثمان: الشهير بـ «فوزي صالح».

أحمد: نعم.

إلهام: المهم أين نجده؟

رشيد: ألن يشتريَ هذا الرجلُ شيئًا من هذه النقود؟

مصباح: وبالطبع لن يشتريَها باسمه الحقيقي.

عثمان: لماذا يضع نفسه موضعَ شبهات ولديه اسمٌ آخر؟

إلهام: إذن فلنبحث عن أراض أو عقارات باسم «فهمي محفوظ».

أحمد: لقد سمعتُ بهذا الاسم في شمال سيناء.

عثمان: في العريش.

أحمد: نعم ... عند «توفيق الشريف».

إلهام: ومَن «توفيق الشريف» هذا؟

أحمد: إنه مناضل سيناوي ... وكان عضوَ مجلس الأمة عن سيناء عندما كانت محافظة واحدة.

إلهام: إذن فلنتصل به.

وقام «أحمد» بالاتصال بـ «توفيق» على تليفونه المحمول ... وقد كان سعيدًا جدًّا لهذا الاتصال ...

وعندما سأله عن «فهمي محفوظ» قال له: إن علاقتي به تنتهي عند كونه اشترى أرضًا منِّي بجانب قرية الخرافي.

أحمد: هل يمكنني أن أعرف كم دفع ثمنًا لها؟

توفيق: طبعًا ... لقد دفع خمسة ملايين جنيه.

أحمد: وهل سيُقيم عليها مشروعًا؟

توفيق: هل تريد مقابلته؟

أحمد: نعم ... هل تعرف مكانه الآن؟

توفيق: إن له فيلَّا في نفس الشارع الذي أسكن فيه، وهو فيها الآن.

أحمد: وما اسم الشارع؟

توفيق: شارع الكورنيش.

مفاجآت مثيرة!

عن طريق القناة انطلق الشياطين في اتجاه «الإسماعيلية» ... وبعد قرية «رمانة» بحوالي كيلومتر كان الطريقُ مغلقًا ... فقد انقلبَت شاحنةٌ تحمل برتقالًا معبَّأً في صناديق للتصدير ... وعندما قرءوا المكتوب على الصناديق نظروا لبعضهم في دهشة ... فقد كانت المزرعة المنتجة لهذا البرتقال باسم «فهمي محفوظ».

إنه غول يا «أحمد» ... حوتٌ من حيتان هذا الزمان ... هكذا قالت «إلهام»، ولم يُجبْها «أحمد»؛ فقد كان يفكر في شيء واحد فقط ... وهو سرعة الوصول لهذا الخائن بائع بلده، وأخيرًا ... تمكَّنَت بعض السيارات الصغيرة من حمل الشحنة ... فتم فتح الطريق ... وانطلق «عثمان» يلتهم الطريق حتى وصل إلى أول كوبري القنطرة الذي يصل بين «سيناء» و«الدلتا»، وتذكَّر «أحمد» وهو يعبره ... عندما كانوا ينتظرون دورهم في طابور طويل أمام العبَّارة لكي يدخلوا «سيناء» ... وها هو الكوبري يجعل الوصول إلى «سيناء» سهلًا محبوبًا في أي وقت، وهذا ما شعر به الجميع ... كما شعروا بالارتفاع الهائل الذي صَعِدَت إليه السيارة وهو منتصف الكوبري.

وطرحَت «إلهام» سؤالًا ... تركَت إجابته لمن يعرف ... فقد قالت: كم ارتفاع أعلى نقطة بهذا الكوبري؟

أحمد: سبعين مترًا.

إلهام: ومتى سنصل إلى العريش.

عثمان: بعد ساعتين تقريبًا.

وبعد ساعتين كان الشياطين في شارع الكورنيش ... يلتقطون أنفاسَهم في فيلَّا «توفيق الشريف» الذي كان موجودًا في «العريش» لإنهاء بعض الأعمال ... وعندما علم بوجودهم

... لم يَعُد إلى الفيلا إلا ومعه لفافاتُ السمك المشوي ... إنه «بوري بحيرة البردويل»، قالها لـ «أحمد» وهو يفتح اللفافة ... فابتسم في سعادة وسأله: أين الأرز؟

توفيق: في السيارة ... فليذهب أحدُكم لإحضاره ... أم تنتظرون حضورَ أمِّ «حسان».

مصباح: سأذهب لإحضاره ... أعطني المفاتيح ...

وبعد أن انصرف «مصباح» قال لهم: ولكن عندي مفاجأة ...

أحمد: ما هي؟

توفيق: أتعرفون مَن سيشاركنا الغداء؟

ولم ينتظر إجابتَهم بل بادرهم قائلًا: إنه «فهمي محفوظ».

تسمَّر الجميع في مكانهم للحظات ... قبل أن يسمعوا صوت «مصباح» وهو في طريقه إليهم يُحادث شخصًا ما ...

وعندما انفتح الباب ... ودخل «مصباح» التفتَ إلى خارجه وهو يقول: تفضَّل ... «انتظر الجميع ليروا الضيف القادم.»

وقد كانت مفاجأة للجميع ... للشياطين ... ولـ «فوزي» الذي ما إن رأى «أحمد» و«إلهام» و«عثمان» حتى أصابَته اللعثمة ولم يستطع إكمالَ جملتَين.

وتدخَّل «توفيق الشريف» ليُعرِّفَهم به ويعرِّفَه بهم قائلًا: الأستاذ «فهمي محفوظ» من كبار المستثمرين هنا ...

ثم نظر إلى «أحمد»، وقال: الأستاذ «أحمد» من أصدقائي وأبنائي الأعزاء جدًّا.

وعندما همَّ «أحمد» بالحديث ... لم يتمالك «فوزي» نفسه، فانطلق يجري إلى الباب ومنه إلى السلالم ... فنزل واقفًا ... ثم رمى نفسه في سيارته ... وانطلق بها كمَن يهرب من الموت ... وسط دهشةِ كلِّ الموجودين ... حتى «توفيق» لم يُفِق من دهشته إلَّا عندما قال له «أحمد»: هل تعرف بيته؟

توفيق: نعم ...

أحمد: وهل يمكنك أن تقودنا إليه؟

توفيق: وهل يمكنكم أن تشرحوا لي أولًا ...

أحمد: هذا الرجل مزور ... وهذا ليس اسمه ... وهو عميلٌ خائن ...

لم يتمالك «الشريف» نفسه وتركهم للحظات، وعندما عاد ... كان يحمل مدفعًا رشاشًا ... فقال له «أحمد»: ما هذا يا «توفيق»؟

توفيق: هذا ما دافع به الأشراف عن أرضهم وعرضهم.

وانطلق الجميع سيرًا صوب منزل «فهمي محفوظ» أو «فوزي»، وعندما وصلوا وجدوا البوابة الحديدية مغلقة ... ويحرسها مجموعةٌ من الرجال الأشداء، مدججين بالسلاح ومعهم مجموعة من الكلاب المتوحشة ...

فناداه «الشريف» قائلًا: هل هؤلاء سيحمونك يا «فوزي» ... إنك واهمٌ ... إذا لم تخرج خلال خمس دقائق ... فأنت وحدك المسئول عما يحدث ...

ومرَّت خمس دقائق ولم يخرج ... بل أمر رجاله بإطلاق رصاصات في الهواء للترهيب ولم يَعُد أمام الشياطين ... إلا استخدام أسلحتهم. فألقوا عليهم قنبلةَ غازات مسيلة للدموع.

وانطلق الحراس في سعالٍ قاتل ... وفتحوا بابَ الفيلَّا ودخلوا جميعًا ... فألقى عليهم قنبلة في الداخل ... فجروا إلى مبنى الفيلَّا ... وتركوا الباب مفتوحًا ... فارتدى الشياطين الكمامات، واقتحموا الفيلا وهم شاهرون بنادقهم الآلية وقد كان اقتحامًا سهلًا.

إلا أنهم فوجئوا ... بإغلاق باب الفيلا، ثم بوابل من الطلقات ينهال عليهم من فوق سطح المبنى ... فاحتموا بمظلة السيارات ... حتى هدأَت النيران للحظات ... فأخرج «أحمد» فوهةَ بندقيته ... وصوَّبها لأعلى، وأطلق دفعة واحدة ... سقط بعدها في الهواء رجلان ... ارتطمَا بعد ذلك بالأرض ...

فانهالَت الطلقاتُ مرة أخرى من فوق سطح الفيلا بغزارة ... ولم تنقطع لأكثر من ربع الساعة ...

وفي هذه الأثناء ... سمعوا صوت محرك أكثر من سيارة يدور وصوت جلبة يأتي من خلف المبنى ... فعرفوا أنهم سيهربون ... فقال لهم «أحمد»: سوف أُغرقهم بوابل من الطلقات ... وعليكم أن تخرجوا في هذه الأثناء من البوابة ...

واستطاع الشياطين الخروج من الفيلا ... وركوب سياراتهم ... وإدارتها استعدادًا لحضور «أحمد» ... إلا أنهم سمعوا صوت نباح لعدد غيرِ قليلٍ من الكلاب المتوحشة ...

وشعروا أن «أحمد» في خطر ... وقرروا التدخل ... إلا أن الكلاب صمتَت فجأة بعد أن دوَّى صوتُ دفعة طلقات من بندقية «أحمد».

وبعدها خرج إليهم ... والطلقات تُلاحقه من كلِّ جانب ... وقفز بجوار «عثمان» في السيارة وقال لهم: يجب أن نقبض عليه حيًّا أو ميتًا ...

وعلَت بالداخل صوتُ جلبة ... فابتسم «عثمان» وقال: إنه يوبخهم لأنهم تركوك تهرب.

وفي هذه الأثناء ... حضرت قوات الشرطة ... وأحاطَت بالفيلا ... وطلب قائدها من «فوزي» الخروج وأمر رجاله بالتصدي لهم ...

فتمردوا عليه، وقرروا الاستسلام ...
فأطلق رصاصة على خزان الوقود الذي يعلو السطح ...
فدوَّى في شارع الكورنيش الهائل صوتُ انفجار هائل ...
واحترق «فوزي» بالنار التي أشعلها في المستودع فيما قبل ...
ومرة أخرى أسرع الشياطين ليشاركوا في إخماد النيران.

هنـــداوي